مدخل إلى الآثار الإسلامية – تأليف دكتور حسن الباشا . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠

عرض وتحليل
الدكتور
ربيع حامد خليفة
أستاذ مساعد الآثار والفنون الإسلامية
بكلية الآثار – جامعة القاهرة

قليلة هى المؤلفات والكتب التى تتناول الآثار والفنون الإسلامية بوجه عام بالأسلوب السهل الممتنع والتبسيط ، مع قمة التخصص الأكاديمى ، وهذا عرض لكتاب فى هذا الموضوع للأستاذ الدكتور / حسن الباشا بعنوان : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، من إصدار دار النهضة العربية ، وطباعة مطبعة جامعة القاهرة ، والكتاب الجامعى صدر عام (١٩٩٠ م) .

وإذا وضعنا فى الاعتبار مكانة المؤلف العلمية ، ورصيده من الأعمال العلمية فى مجال الآثار والفنون الإسلامية ، والتى بلغت أكثر من مائة كتاب وبحث ، وأنه صاحب مدرسة متميزة فى هذا المجال منذ ربع قرن أو ما يزيد ، أفرزت عشرات الرسائل العلمية المتخصصة فى درجات الماجستير والدكتوراه – اتضح لنا مدى أهمية هذا الكتاب لسد الفراغ فى المكتبة العربية .

وجدير بالذكر أن الدار التى صدرت عنها هذه الطبعة الحديثة للكتاب قامت بنشره أولاً فى عام (١٩٧٩ م) ، وتكمن أهمية الطبعة الحديثة للكتاب فى تلك الإضافات الهامة التى ضَمَّنها المؤلف هذا الكتاب اعتمادًا على خبرته الطويلة فى مجال الآثار الإسلامية .

ويقع الكتاب الذى بين أيدينا الآن فى حوالى (٦٥٥) صفحة ، ويشتمل على حوالى (٢٣٠) شكلاً توضيحيًا اختيرت من الآثار والفنون الإسلامية من العالم الإسلامى المترامى الأطراف ، وعَبْرَ العصور الإسلامية المتعاقبة ، مع شرح وافٍ لها

يعدُّ إضافة قيمة للكتاب . ويتكون الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب ، تليها الأشكال ، وتعريف بالأشكال والمراجع العربية الأوروبية ، ثم مؤلفات بقلم الدكتور حسن الباشا .

ولقد تناول فى المقدمة علم الآثار ونشأته بوجه عام ، وعلم الآثار الإسلامية ، ثم نشأة الفنون الإسلامية ، وأثر العروبة والإسلام فى الفنون الإسلامية ، وأحوال العرب الفنية عند ظهور الإسلام ، والأسس العربية الإسلامية لفنون الإسلام . كما تناول فى هذه المقدمة أثر أحكام الإسلام فى الفنون الإسلامية ، وطُرز الآثار الإسلامية .

ويختص الباب الأول بموضوع تخطيط المدن الإسلامية ، ويشتمل على مقدمة عن المدن الإسلامية وعناية المسلمين بتخطيط المدن وإنشاء الجديد منها . ويلى المقدمة ستة فصول عن مدينة الفسطاط ، ومدينة بغداد ، ومدينة سامرا ، ومدينة الزهراء ، ومدينة الدرعية ، ومدينة الرياض ، بحيث انفردت دراسة كل مدينة بفصل مستقل .

أما الباب الثانى فقد خصصه المؤلف لدراسة العمارة الإسلامية ، ويحتوى على مقدمة وأربعة فصول . واشتملت مقدمة هذا الباب على تعريف بالعمارة الإسلامية ، وأنواعها ، وعناصرها ، ووحداتها ، وأساليبها ، وغيرها . والفصل الأول يتناول المنشآت الدينية ، ويبدأ بمقدمة ودراسة عن المسجد الحرام ، والمسجد النبوى الشريف ، وقبة الصخرة بالقدس . ثم أنواع المنشآت الدينية : من مساجد ، ومدارس ، وأربطة ، وخانقاوات ، وأضرحة . وأما الفصل الثانى فيضم المنشآت العسكرية من قلاع ، وأسوار ، وأبواب المدن . ويليه الفصل الثالث عن المنشآت المدنية ، مثل الوكالات ، والأسواق ، والبيمارستانات ، والطرق ، والدروب ، وينتهى هذا الباب بالفصل الرابع عن القصور والبيوت .

والباب الثالث عن الفنون التشكيلية ، ويتكون من مقدمة وثلاثة فصول ، وخصصت المقدمة لشرح الفنون التشكيلية فى الفن الإسلامي ، وأنواعها ، واستخداماتها فى تزيين المنتجات الفنية المختلفة من عمارة ، وأثاث ، وأدوات ، وغيرها . ويضم الفصل الأول النحت فى الحجر والجص فى العصر الأموى ، وطُرز سامرا ، ثم النحت الفاطمى ، والنحت فى الأندلس ، والنحت السلجوقى . والمغولى ، وأخيرًا النحت فى عصر المماليك .

وينفرد الفصل الثانى بدراسة التصوير ، وحكم التصوير فى الإسلام ، ثم التصوير

وانفرد الفصل الأخير من هذا الباب – وهو الفصل السابع – بدراسة الجلود ، ومشغولات الجلود الإسلامية ، التى تنوعت تنوعًا كبيرًا مابين أغلفة الكُتب ، والسروج ، والحقائب ، وعلب المرايا ، وأغطية المقاعد ، وأجربة السيوف ، وغيرها . غير أن أهم مشغولات الجلود الإسلامية – ولا سيما من الناحية الفنية – هى أغلفة الكتب الجلدية ، وكان من أهم أسباب ازدهار تجليد الكتب فى العالم الإسلامى الحفاوة بالعِلْم ، وبوسائل أخرى ، ومنها الإقبال على تأليف الكتب ونسخها واقتنائها ووقفها ، ومنها تأسيس المكتبات لحفظها ، والانتفاع بها ، وإلحاقها بالمنشآت العلمية ، والدينية ، والخيرية .

• • •